(١٩)

اليوم الوليد
والإنسان الجديد والكلمة الحفيد
لحقائق السماوات والأرض

حديث الجمعة

٢٥ ذو القعدة ١٣٨٢ هـ - ١٩ أبريل ١٩٦٣ م

ها هي السماء ذات الرجع تنشق بجديد، وها هي الأرض ذات الصدع يأتيها المخاض لوليد، تلد به الأمة سيدها. ها هي السماء أذنت لربها وحقت. وها هي الأرض من السماء بماء منهمر مُدت في ظلل من الغمام تدانى بأمان وسلام. وها هي الأرض تهتز لتحدِّث أخبارها، وتتفتح عن عيون مائها، اكتنزته، وامتلأته لأمر قد قدر، حملته ووضعته به تتفجر في قلوب الفقراء، سفن مراكب النجاة، وأحواض ماء الحياة.

ها هي السماء بآياتها في الآفاق، وها هي الأرض بآياتها في جميع الأرجاء، وها هي البشرية بآياتها في نفوس المواعين من الأشياء، ها هي بآيات الله ناطقة، محدّثة، ولحديث من الله ناقلة ناطقة مبينة صادقة. ها هي العقول الشاردة ترجع عن شرودها، وها هي النفوس المعاندة تخرج عن عنادها فتتأمل في الله، وتتذاكر في الله، وتتواصى بالحق في الله. ها هي الأرض للقلوب مدت، وأذنت لربها وحقت، وألقت ما فيها وتخلت. ها هو الحق يوشك أن يبين، وها هو اليقين يوشك أن ينتصر ليُبين. ها هي أغلفة النفوس تتكشف عما بها من نور الحق، أو ترق لتكشف عما بها من حديث الحق، أو تخلع دثارها ليتكشف قيامها من قائم الحق. ها هو الصدق في الصادقين يأخذ جولة عنيفة مع الكذب في الكاذبين، وها هي معركة الباطل مع الحق يتداول فريقاها الهزيمة والنصر. وها هي تباشير النصر لأعلام الحق. وها هي إرهاصات الهزيمة لأهل الباطل.

تأملوا صدق إنباء رسول الله يوم قال لرجل من نجد عن نجد (من هنا ينبت قرن الشيطان)[1]، قرين قوله لرجل من أهل اليمن عن اليمن (الإيمان يماني)[2]. ها هي معركة الشيطان مع عباد الرحمن تضع أوزارها، وتُرفع أعلام النصر لعباد الرحمن، وتُزال أعلام الشيطان عن أرض الإيمان.

ها هو الشيطان يسفر عن وجهه بلا خفاء ولا رياء، فيتصارع جنوده على المال والنساء، ويتقاتل وجوهه على الدنيا والمتعة والثراء. وها هو الإيمان يستشهد رجاله لنصرة الحق في سبيل حرية الناس.. في سبيل كرامة الناس.. في سبيل أَمان الناس.... في سبيل سلام الناس. ها هي معركة الفرقة والخصام مع جنود الجماعة والالتئام يشتد وطيسها، ويتبادل طرفاها الكر والفر بين الغلبة والقهر. ها هو للعيان المكر جميعا للرحمن يهزم الشيطان بالشيطان. وها هي أعلام النصر تعقد لأهل الرتق. وها هي إرهاصات الهزيمة توشك أن تقع بأهل الفتق.

ها هي الأيام يداولها بين الناس إنسان الناس من إنسان الله، رب الناس، ملك الناس، إله الناس. وها هو يوم الجمعة بإنسانه من الناس يتهيأ للإقامة لصلاة نداءً بآذان، ويتكشف للقيام بصلة بإحسان، صلة تعقبها صلاة، وآيات يعقبها آيات في جماعات تتجمع في جماعة لجماعات، تذوب عنها الفرقة بعد الفرقة، حتى لا فرقة في جمعها بمسخ سعود الشيطان على مكانتهم، وكشف ونصر سعود الرحمن على رفعتهم.

ها هي السماء تداني الأرض تعتنقها برحمة من الرحيم الرحمن بدعوة للسلم، فترفرف عليها أعلام السلام. ها هي يدها تمتد إلى أعماق الأرض لترفع الماء من أعماق جوفها إلى سطحها، فيلتقي ماء السماء المنهمر بالأرواح بماء العيون المدكر بالأشباح، مستجيبا للصوت المذكر من الصحراء، فيستقي الناس في الأمصار، يستقي حيوان الناس، تستقي بهائم الأنعام من الناس، تستقي ناقة الله بالناس، تستقي دواب الأرض من الناس بماء الحياة من رب الناس، معية رسول الله أنفسهم، معية رسول ربهم لمعيتهم تقوم قيامته بعثا فيهم، وبعثا بهم، وبعثا منهم، قياما لهم، وقياما لله، فتقوم قيامة الآباء في الأبناء، ويظهر الرسول بنعمة الله إليهم قد جحدوها، وبرحمة الله لهم قد ظاهروها، وبنصرة الله لهم على أنفسهم كم خاصموها، وبوجهه بالحقيقة لهم أنكروها. أُعلموا أنه فيهم فكرهوه، وأنه بناؤهم فهدموه، وأنه حقهم فكفروه، وأنه رشادهم فقلوه، وأنه عقولهم فسجنوه وأنه نفوسهم فما زكوه، وأنه قيامهم فما جددوه، وأنه الحق من ربهم فما عبدوه، وما عبَّدوا أنفسهم له ليكونوه، وأنه حقيقة الإله لهم فما طافوه، وأنه بيت الصلاة لقبلة الصلاة فما صلوه، ولا في وهم الصلاة استقبلوه، وبيت الحجيج للساعين لعرفات الله المجاهدين في طلب المعرفة عن الله، فما في منسك استقبلوه، ولا في عَلَمٍ عليه طافوه، ولا نصبا في أنفسهم كشفوه، فلا في مجاهدة استعانوه، ولا في طريق متكشفة سلكوه، ولا في باب

رحب ظهر لهم طرقوه، في كل إمام صادق أنكروه، وفي كل شيطان مارد زعموه، وهم بعد ذلك كله وصلوه، والمتفضلون عليه بالصلاة لينجوه، والداعين الله له ليرحموه.

سبحان الله!! أهكذا يكون أمر رسول الله! أهكذا يكون أمر أمر الله عند من أرسله إليهم الله! أمنهم منه أمينا صادقا رسول رحمة مهداة للعالمين، وطلب له الأمان منهم به مؤمنين، ووعده النصر يوم يخاصمه منهم مخاصمون، وأنذرهم الهزيمة يوم أنهم لرسالته يقاومون. نصره كلما استنصره، وهزمهم كلما قاوموا أمره. خلصه من الذين كفروا وجعل الذين آمنوا فيه به الأعلون، ونصرهم ببدرهم أذلة وما كان بينهم إلا بدرهم. وهزمتهم كثرتهم يوم حنين - وهم بكثرتهم الأعزة - حتى يستيقظوا أن النصر من عند الله، وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بعزة الله، وبنصرة الله. حذَّرهم أن يعودوا على أعقابهم إن مات أو قتل، وما هو بالميت، فكيف يموت من لم يولد ولا هو بالقتيل؟ فكيف تقتل الحياة، وكيف يموت الموت، وهو الموت لمن وحد الله فعرف الله الحي القيوم لا شريك له؟ وكيف يموت من استشهد في معركة الحياة فحيا فكان الحياة؟ لم ينظر لما أودع الله به من العزة ضعفا مع عزة الله فجعل فيه عزته، فكيف تهزم عزة الله؟ وكان القدرة ولكنهم نظروه ميتا في أكفان سجنوه، وشهيدا في قبر دفنوه، وإنسانا من بينهم فقدوه، وكان لهم حقا ما عرفوه، وحياة ما قاموه، ومبعوثا في الصدور ما بُعثوه، ومصباح قلوبهم ما أشعلوه، وماء حياتهم ما وردوه، ونور عقولهم ما أضاءوه، وظهيرهم بالقدرة ما استعانوه، ولا وجها له قاموه، أقرب إليهم من حبل الوريد قرب ربهم إليهم ما شاهدوه، يدا لله دائمة عندهم ما بايعوه، ونفس الله لنفوسهم بينهم ما تابعوه، ووجه الله لعاشقه يوم يريده ويريده ما تخلقوه، وما بعثوه، وما جددوه. من أحبه في محبة الله تكشف له في حبه، فيراه بوجهه الناضر بعين لطيفه في قيامه الظاهر وجه الله يشاهد وجه الله، في قائم وجوه ناضرة لربها ناظرة.

هل في نفوسهم تفقدوه فما بعثوه، وبعينه لعيونهم وجه ربه وربهم شهدوه، ووجها لهما ظهروه فوحدوه، فبدين قاموه، وفي أكبر برحمة طلبوه، فعبادا لله في عبوديتهم له وجدوهم، فحقا لهم من ربهم وجدوه؟

سبحان الله!! محمدا ذكروه، وما بمحامد خلق تخلقوه، أو بتصديق تابعوه، أو بتفريق بين الحق والباطل قلدوه، أو بمتعة بدراسة تعلموه. لا ولا بشوق في طلب طلبوه فوجدوه فعلموه. أحبهم حبا لله فما أحبوه، ورآهم وجها لله فما لله وجها رأوه، وطلبهم ليتلاقى معهم في قلوبهم فما أجابوه، وناداهم من ضمائرهم فما لبوه، ثم هم بعد ذلك للناس يتصفوه، وبوهم من خيال أنفسهم يذكروه، كتابا حرفوه، وفي غير مواضعه لآياته باسمه وضعوه وعبثوه، وبظلام أنفسهم وبأقلام الظلام لعقولهم كتبوه، وفي

ألواحهم من تراب خطوهم باسمهم اسما لله نشروه، فألواحا لله زعموهم وباسمهم زعموه، وصحفا لله قرأوهم لذكره نسبوه، وما هم إلا ألواح الشيطان، وصحف الشيطان، وأعلام البهتان.

يجادلون بغير علم، ويسيرون بغير هدى، وينتشرون بغير نور، مُقَدَمين، ومتابعين، في الدرك الأسفل محشورين، وإلى أسفل سافلين هاوين، وأبواب الرجيم طارقين، وإلى ثلة السلف الصالح أدعياء دجالين ينتسبون، وما اختاروا من السلف إلا الطالحين، وما ذكروا منهم من صالحين، فالصالحون عندهم في جفاء، والطالحون عندهم لهم الولاء. ما تأملوا في أولين وكيف جُمعوا وكيف فرقوا، كيف جمعوا على الدين يوم لا أمة ولا متدينين، يوم قام بينهم اليتيم أبوة الحياة للمؤمنين، وكيف فرقوا من الدين بعد الذي جاءهم من العلم يوم وسدوا أمر الله بينهم لغير أهله ففرقوا من الدين، والدين عالية منصوبة بنوده، في عزة من الله جنوده، في أمة بجديدها كانت ثلة الأولين المخلصين، من الحكماء والأئمة والنبيين مبعوثين في جمع على إمام لليقين مع أول العابدين، هزتهم يد الله مختبرين مبتلين على ناموس الله في جماع الأولين، فإذا هم من شجرة الحق أوراق خريف يتساقطون، ومع الريح يتناثرون، وطعاما لأنعام الأرض يؤكلون، إلا قليلا من المخلصين، فإذا الأمم تتداعى جياعا عليهم قصاعا يؤكلون، للكتاب محرفين، وللحق مخاصمين، وللرسول مباعدين، والأدهى أنهم يأتون ذلك باسم الحقيقة والدين.

فهل أنتم بعد ذلك على دين الآباء تسيرون بوهمكم أنهم على أمة كانوا أنتم لآثارهم مقتفون؟ ها هو خادم الحرمين على ما تنظرون، أهذا جديد السلف الصالح على ما ترون؟ هل أنتم لعقولكم معملون ولضمائركم مُستفتون، ولما يهديكم به الله في أنفسكم وهو هاديكم تعملون؟ وإلى الله في أنفسكم تتجهون، وبيته بقلوبكم تستقبلون، ورسول الله بينكم حقا بكم يقوم من الله يجمع على الحق به تتواصون وله تُجددون حتى يكشف الله غطاء المادة عنكم فيه أرواحا تقومون، وعن جذوة الحياة في نفوسكم تقدرون، وعن نور السموات والأرض لعقولكم تنشرون، وعن قبلة الحياة لقلوبكم وعن نبع الحياة في عيون صدوركم تعلَمون وتعلِّمون؟

ها هي السماء تجدد دينها بينكم معروف دينكم، وتجدد وجودها بينكم برجال منكم، فهل من ملبٍ لنداء الحق، حتى يلبي الحق نداءه يوم يجأر فيناديه؟ إذا سألك عبادي عني فإني أقرب لعبادي من حبل الوريد وأنا القريب، ألبي نداءهم يوم أكشف عنهم غطاءهم وقد طلبوا كشف الضر عنهم، فيبين لهم الحق في أنفسهم ومن حولهم وفي الآفاق.

هذا هو الدين، وها هو قريب المنال، يسير المثال، قائم الحال، سيد المجال، دين القيمة لم يجعل لرسوله ومن يقوم به عوجا، قيما في السموات والأرض، إن كل من في السموات والأرض يوم يأتي الحق

إنما هو آتيه يوم يأتي عبدا للرحمن يطويه، وهو فيه مزوية له الأرض أو مزوي له أمر السماء له. أبوه الإنسان في علوي الإنسان فوق السموات والأرض، وأمومته الإنسان في حقيقة الروح للإنسان ظاهر السماوات والأرض، وبنوته الإنسان للإنسان بعوالم وحقائق الوجود. الإنسان إنما هو الثلاثة والواحد. إنه الاثنين والواحد. إنه الواحد المتعدد. إنه الوتر المتجدد، باطنه له الشفع لظاهره له. إنه الشفع في قيامه في قائم الوتر. من أراده شفعا معه أراد الله، ومن كانه وترا فيه كان الله، ومن عرفه عينا له مسيحا به عرف الله، ومن تخلقه عبدا تحقق الله ربا.

لقد كان محمد في كل هذا راية لا إله إلا الله وعلمها، ورسول وشعار الله أكبر وعنوانها، عبد الله بلا أسماء، واسم الله بلا عوالم، وعباد الله لله في وجود الله. هذا من عرفناه وما عرفناه. وهذا من رأيناه وما شهدناه. وهذا من ذكرناه عبدا وما قمناه. وهذا من طلبناه حقا وما لأنفسنا حققناه. هذا هو محمد الله، وعبد الله، ورسول الله، والحق من الله، ووجه الله، ويد الله، ونور الله، وروح الله، وعين الله، وسر ذات الله، لمن طلب الله فوالاه، ومن عبد الله فداناه، ومن تابعه فتولاه، ومن أحبه فتبناه، ومن وجده فكان عين معناه. هذا هو محمد الله ورسول الله الذي حمل إلينا باسم الله في السابقين لا إله إلا الله، وعلمنا باسم الله في اللاحقين لا إله إلا الله، وحققنا في قائم قيامنا بيننا لا إله إلا الله، فعرج بنا في سبيله سبيلا لربه بالله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، ولا إله إلا الله الرسول بين الناس، إذا أوجده الناس بحقائقهم في اجتماعهم بالحق على الحق في أنفسهم أظهره لهم الله بقانون معيته لهم برحمته، فكانت نفسه جماع نفوسهم، وعقله نور عقولهم، وروحه جمع أرواحهم، وقلبه قبلة قلوبهم، وحياته عين حياتهم، وحياتهم عين حياته، أحديته أحديتهم في أحدية الحق به وبهم بين آحاد للحق في أحدية الله، لا تعدد لها ولا حصر لآحادها، ولا زمن لوجودها، ثلة من الأولين كلما بدأت أولية، وثلة من الآخرين كلما كشفت للإنسان قضية. وها هي السماء تأتي بقضية الأولين، وها هي الأرض ترهص بقضية الآخرين، والحمد لله رب العالمين.

اللهم يا من بك آمنا موحدين، ولك تأدبنا مكبرين، وطريقك سلكنا مفتقرين، وأحواضك وردنا عطشين، ومن موائدك طعمنا جائعين، وفي ظلك نمونا مجاهدين، وعن الأرض نبتنا شاكرين، والسمو في سماوات معانيك طلبنا عاجزين، لا إلى الأرض من ذواتنا متثاقلين، ولا بانطلاق عقولنا مستكبرين، ولا بجذوة الحياة في نفوسنا طاغين. اللهم قومنا فيك مرحومين، ولا تحرمنا من الافتقار إليك عالمين، ولا تخرجنا بقدرة منك لنا وبعزة لك بنا من دائرة المساكين، وألحقنا بمحمد في الأولين، وبمحمد في الآخرين، وبمحمد في القائمين، وبمحمد في يوم الدين، رضيناه لنا حقا منك متابعين، ووجها لك مستقبلين، نحن به إليك ناظرين، فاحفظنا على الملة والدين، ولا تخرجنا من الحق واليقين.. وولِ

اللهم أمورنا خيارنا في الدنيا والدين، وفي أنفسنا، حتى لا نكون من الظالمين، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، حكاما ومحكومين غافلين ويقظين.

أضواء على الطريق

(لماذا يوجد كثيرون يرفضون كل هذا الجمال.. كل هذه البساطة.. مفتاح الفهم للحياة نفسها؟ لماذا يفضلون الظلام في حين أنهم يمكنهم أن يحوزوا الضياء؟ لماذا يفضلون القيود في حين أنهم يمكنهم امتلاك الحرية؟)

من هدي السيد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُشِيرُ إلى المَشْرِقِ فَقالَ: هَا إنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، إنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا مِن حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ." صحيح البخاري. وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

٢ حديث شريف: "أتاكم أهلُ اليَمَنِ هم أرَقُّ أفئدةً الإيمانُ يَمَانٍ والفقهُ يَمَانٍ والحِكمَةُ يَمَانِيَةٌ والفخرُ والخُيَلاءُ في أصحابِ الإبلِ والوَقارُ في أصحابِ الغَنَمِ" أخرجه البخاري، ومسلم باختلاف يسير.